الورقة الثالثة

الخلافة.. بوابة الخروج الآمن من النفق المظلم

قدمها: الأستاذ إبراهيم عثمان (أبو خليل)

الناطق الرسمي لحزب التحرير في ولاية السودان*

رسماً للخط المستقيم أمام الخطوط المعوجة؛ أنظمة الحكم الغربية؛ من ديمقراطية رئاسية، أو برلمانية، أو إمبراطورية، أو ملكية دستورية أو غيرها، فإننا من خلال هذه الورقة نتحدث عن نظام الحكم في الإسلام الذي دلت عليه النصوص الشرعية، وعن انطباق أحكامه على واقع الحكم، بل وتميزه عن غيره من الأنظمة، ولولا عدو حاقد لئيم، ملك أمر المسلمين، فلم يألُ جهداً، أو يدخر وسعاً للتضليل والتشويش على المسلمين، لولا هذا العدو ومكره الذي أفضى إلى غياب هذا النظام لأكثر من قرن، لولا ذلك لتهافت الناس من غير المسلمين في أرجاء المعمورة يطالبون بالعيش تحت ظل نظام الإسلام، وهم المظلومون والبؤساء والتعساء، وإن غداً لناظره قريب.

إن نظام الحكم في الإسلام هو الخلافة؛ وهي رئاسة عامة للمسلمين جميعا في الدنيا لإقامة أحكام الشرع الإسلامي، على رأسها الخليفة الذي ينوب عن الأمة في الحكم والسلطان، وفي تنفيذ أحكام الشرع، وحمل الإسلام إلى العالم بالدعوة والجهاد، والخليفة إنما ينصبه المسلمون لأن واقعه أنه نائب عن الأمة، لأنها صاحبة السلطان، ويكون تنصيب الخليفة بالعقد الشرعي (عقد البيعة) بين الأمة أو من يمثلها من أهل الحل والعقد، وبين الخليفة، وتنعقد بيعة الانعقاد الشرعية بالرضا والاختيار.

وإقامة الخلافة فرض على المسلمين والتقصير في القيام بهذا الفرض معصية من أكبر المعاصي يعذب الله عليها أشد العذاب. والأدلة على ذلك مستفيضة نأخذ منها ما ورد في الكتاب من أمر الله سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ أن يحكم بين الناس بما أنزل الله، قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ**﴾، وخطاب الرسول ﷺ خطاب لأمته طالما لم يرد دليل التخصيص.

وفي السنة المطهرة ما رواه مسلم عن طريق نافع قال، قال ﷺ: «**مَنْ خَلَعَ يَداً مِنْ طَاعَةٍ لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ حُجَّةَ لَهُ وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**».

ومن ذلك أيضاً إجماع الصحابة على إقامة خليفة لرسول الله ﷺ، وخليفة من بعده لأبي بكر الصديق، ثم لعمر رضي الله عنهم أجمعين، بالإضافة إلى القاعدة الشرعية (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب).

والخلافة منصب دنيوي بشري، وهي ليست منصباً أخروياً، فالخليفة هو شخص من المسلمين، وظيفته أن يطبق الشرع على المسلمين، ويحمل الإسلام إلى العالمين، لذلك فإن الذين يتولون منصب الخلافة هم بشر وليسوا أنبياء، يجوز في حقهم ما يجوز في حق المسلمين من الخطأ والنسيان والمعصية، وفي ذلك قال رسول الله ﷺ فيما رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: «**إِنَّمَا الْإِمَامُ جُنَّةٌ يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ وَيُتَّقَى بِهِ فَإِنْ أَمَرَ بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَدَلَ كَانَ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرٌ وَإِنْ يَأْمُرْ بِغَيْرِهِ كَانَ عَلَيْهِ مِنْهُ**».

وفي ظل الخلافة لا توجد حصانات حتى لخليفة المسلمين، فهو يحاسب ويمثل أمام القضاء، ويعزل، وقد مثل سيدنا علي بن أبي طالب أمام القاضي شريح في القصة المشهورة، وكان لا يملك شهوداً إلا ابنيه الحسن والحسين، فحكم القاضي شريح لصالح

الرجل اليهودي، وقال القاضي شريح لعلي كرم الله وجهه: "لم تجلب شهوداً مسبقاً وهذا الرجل أقسم بالله أن الدرع ملكه.. البينة على المدعي واليمين على من أنكر".

والخلافة دولة متميزة بشكلها وجهازها وأحكامها، وهي وحدها التي تشكل بوابة الخروج الآمن من نفق الأزمة السياسية التي تعاني منها البلاد للآتي:

أولاً: الخلافة هي الدولة الوحيدة التي تطبق الشريعة الإسلامية، وتوصل الإسلام صافياً نقياً إلى سدة الحكم، بعيداً عن محاولات تطبيق بعض أحكام الإسلام في قوالب الدويلات الوطنية، والتي شكلت تجارب فاشلة، كانت حقيقتها وصول الإسلاميين إلى سدة الحكم لكنهم عجزوا عن إيصال الإسلام إلى سدة الحكم.

أما الشريعة الإسلامية والتي لا تطبقها إلا الدولة التي دلت عليها النصوص الشرعية وهي دولة الخلافة، فإن هذه الشريعة هي نظام كامل للحياة؛ في الحكم والاقتصاد، والاجتماع وسياسة التعليم، والسياسة الخارجية، ولكل هذه المنظومة من الأحكام التي جاء بها الوحي العظيم، وهي من لدن حكيم خبير: ﴿**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾.

وقد صاغ حزب التحرير باجتهاد صحيح هذه الأحكام في مشروع دستور ومنظومة تشريعية قابلة للتطبيق عند إقامة الخلافة متى يأذن الله لفجرها بالإشراق.

ثانياً: الخلافة هي دولة الرعاية، بل هي الدولة الوحيدة على مر التاريخ الإنساني التي ترعى شئون الرعية بالعدل والإحسان، وتنصر المستضعفين في أرجاء المعمورة، فالخلافة ترعى شئون رعيتها من المسلمين وغير المسلمين بلا مَن ولا أذى ولا مقابل مادي، يقول رسول الله ﷺ: «**فَالْإِمَامُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**». والإمام الراعي هو الذي قال عنه الحسن البصري في وصيته للخليفة عمر بن عبد العزيز: (... والإمام العادل كالراعي الشفيق، والحازم الرفيق، الذي يرتاد لغنمه أطيب المراعي، ويذودها عن مراتع الهلكة، ويحميها من السباع، ويكفيها أذى الحر والقَر. والإمام العادل كالأب الحاني على ولده؛ يسعى لهم صغاراً، ويعلِّمهم كباراً، ويكسبهم في حياته، ويدخر لهم بعد وفاته. وكالأم الشفيقة، البرة الرفيقة، حملت ولدَها كُرهاً، ووضعته كُرهاً؛ تسهد إذا سهد، وتسكن إذا سكن، ترضعُه تارةً، وتُفطِمُه أخرى، تفرَحُ بعافيته، وتهتم بشكايته. والإمام العادل كوصي اليتامى، وخازن المساكين؛ يربي صغيرهم، ويمون كبيرهم. والإمام العادل كالقلب بين الجوارح؛ تصلُحُ بصلاحه الجملة، وتفسد بفساده. والإمام العادل هو القائمُ بين الله وبين عباده، يسمع كلام الله فيسمعهم، ويبصر آثار نعمة ربهم فيبصِّرهم، وينقاد إلى أوامر الله تعالى ويقودهم).

ثالثاً: لأن الخلافة هي الدولة الوحيدة التي تكرم، بأحكام الإسلام، غير المسلمين من رعايا الدولة، فلا يتعرضون لأي نوع من التمييز، ولا يجبرون على الذوبان في مجتمع المسلمين كما يفعل الغرب الكافر الدعي بالمسلمين الآن، لذلك ورد في المادة السادسة من مشروع دستور دولة الخلافة: "لا يجوز للدولة أن يكون لديها أي تمييز بين أفراد الرعية في ناحية الحكم أو القضاء أو رعاية الشؤون أو ما شاكل ذلك، بل يجب أن تنظر للجميع نظرة واحدة بغض النظر عن العنصر أو الدين أو اللون أو غير ذلك"، لذلك كان عقد الذمة الذي يعطى لغير المسلمين من رعايا الدولة أكثر إنصافاً ورعاية من فكرة (الأقليات) الموجودة في الحضارة الغربية، لأنه وبموجب عهد الذمة، فإن أهل الذمة لهم ما لنا من الإنصاف، وعليهم ما علينا من الانتصاف، يقول سبحانه وتعالى: ﴿**وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً**﴾.

رابعاً: الخلافة بتطبيقها للأحكام الشرعية تكرم المرأة، وترتفع بها إلى مستوى العبودية لله، بعيداً عن حضارة الغرب الزائفة، التي ما زالت تبحث عن كيفية إنصاف المرأة، واتخذت من مساواتها بالرجل طريقاً لزيادة شقائها، وهي تحسب أنها تحسن صنعاً.

خامساً: الخلافة هي الدولة الوحيدة القادرة عند إقامتها على اقتلاع نفوذ الغرب الكافر من بلاد المسلمين، وإغلاق سفارات الدول الاستعمارية الطامعة في بلادنا، وكنس الوسط السياسي الديمقراطي العلماني المتخابر مع سفارات الأعداء، وإيجاد وسط سياسي على أساس الإسلام.

سادساً: الخلافة دولة عالمية بعالمية مبدأ الإسلام العظيم، تعد القوة استجابة لأمر الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ**﴾، فهي دولة تسعى لحمل الإسلام إلى العالم، لذلك فهي تأخذ بكل أسباب القوة لتكون الدولة الأولى في العالم كما كانت من قبل ١٣ قرناً من الزمان.

سابعاً: الخلافة هي الدولة الوحيدة القادرة على تغيير الشرعة الدولية، وهدم مؤسساتها الرأسمالية الظالمة التي كانت سبباً في شقاء الإنسانية، فالدولة الإسلامية عندما كانت الدولة الأولى في العالم، جلبت الخير والطمأنينة للإنسانية جمعاء.

ثامناً: الخلافة هي الدولة التي يعول المستضعفون في أرجاء المعمورة على نصرتها، لأن نصرة المستضعفين من أحكام الفكرة التي تقوم عليها الدولة: ﴿**وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً**﴾.

تاسعاً: حمل رسالة الإسلام إلى العالم، وإخراج الناس من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام، وسوق الناس، ولو بالسلاسل إلى جنة عرضها السماوات والأرض بالحجة والإقناع، وما يرون من عدل الإسلام فيدخلون في دين الله أفواجاً.

عاشراً: الخلافة هي التي تجمع شعث أمة الإسلام في دولة واحدة، وأمة واحدة، تحت راية واحدة، تعز المسلمين، وتذل الكافرين.

هذه عشرة كاملة كل واحدة منها كفيلة بأن تجعل المسلمين يدفعون الغالي والنفيس من أجل إقامة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة اليوم قبل الغد، فكيف لو أن العشرة مجتمعة، وهي غيض من فيض الحياة في طاعة الله، ومعيته، ونصره، ثم رضوان من الله أكبر.

ومن هنا ندعو جميع إخواننا السياسيين، والإعلاميين، وكل المهتمين بأمر العامة أن ضعوا أيديكم على أيدينا في حزب التحرير لنعيد صرح الخلافة الراشدة الثانية على منهاج النبوة، فهي وعد ربنا سبحانه، وبشرى نبينا ﷺ القائل: «**ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ**»، فهي البوابة الوحيدة للخروج الآمن من النفق المظلم الذي تعيشه أمتنا.

*** كلمة ألقاها الأستاذ إبراهيم عثمان (أبو خليل) الناطق الرسمي لحزب التحرير/ ولاية السودان في الخامس عشر من رمضان المبارك ١٤٤٣هـ في صالة منتجع (دوسة السياحي) خلال فعالية الإفطار الرمضاني السنوي الذي نظمه حزب التحرير/ ولاية السودان، والذي حضره جمع غفير من السياسيين والإعلاميين والعلماء وزعماء الإدارات الأهلية، وغيرهم ممن يهتمون بأمر العامة، بالإضافة لشباب حزب التحرير.**